إمكانيات الدعوة في الألفية الثالثة

د/محمد امين*

من الممكن أن يختار الرجل منهجين بمشاهدة الأوضاع التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم، إما منهج اليأس والقنوط إذا نظر إلى ضعف المسلمين وخبث أعدائهم وراداءة أوضاعهم، وإما منهج الأمل والرجاء على الرغم من كل هذه الظروف، ونجد أن المنهج الثاني هو الصواب، لأن المسلم الحق لا يمكن أن يكون قنوطا، لأنه يؤمن بأن ربه هو الحي القيوم[٢]، مالك الأرض والسماء[٣] ولا يسقط الورق إلا بعلمه وبمشيئته[٤] وبأنه هو الرحمن الرحيم[٥] وما النصر إلامن عندالله[٦] فمن يؤمن بهذه العقائد عليه أن لا يقنط، بل عليه أن يجتهد بما في وسعه ويترك النتيجة على الله سبحانه وتعالى ويرضى برضائه وبمشيئته.

وإذا كان الرجل متفائلا يظهر الإمكانيات الخفية ويبذل كل ما في وسعه لأداء واجبه ويثق برحمة ربه، فتغطيه نصرة ربه فينجح ويفوز ويسعد.

وإذا نظرنا إلى القرون المتأخرة من الألفية الثانية الميلادية وجدنا أن المسلمين فقدوا حريتهم وسقطوا في قعر الذل والمسكنة حيث استعبدهم الاستعمار الغربي، ولكننا في نفس الوقت إذا أمعنا النظر في القرن الماضي رأينا أن الليث قد انقض من النوم وبدأ يتحرك إلى اليمين واليسار ويفك سلسلة الذل والعار.

ومهما كانت ظروفنا رديئة وسيئة، علينا أن لا ننسى واجبنا وهو بلاغ الدعوة وأداء شهادة الحق إلى الناس لأن الله عزو جل أعزنا بخاتم النبوة[٧] وأنزل علينا كتابا كريماً

---

* المحرر الرئيسي، دائرة المعارف الاسلاميه اردوية، بجامعة بنجاب

وجعلنا خير أمة حيث قال في كتابه العزيز:

"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"٨

ولكننا للأسف لم نؤد هذا الحق كما كان ينبغي علينا، نعم! قد يكون لدينا أعذارنا، ولكننا على الرغم من هذه الأعذار نقول "ما أدينا واجبنا ونحن مسؤلون عن هذا *التقصير*".

وشهادة الحق وجهان يرتبط أحدهما بالآخر، هما خارجي و داخلي، أما الوجه الداخلي فيتعلق بشخصية الداعية ومسئولياته ومؤهالاته. وأما الوجه الخارجي فنقصد منه أنه إذا أراد الداعية إبلاغ الدعوة في مجتمع ما، فعليه أن يدرس أولا ظروف هذا المجتمع السياسية والدينية والاقتصادية.....الخ..... دراسة عميقة مستفيضة متأنية-حتى يستفيد من إمكانياتها ويحذر من سلبياتها. وفي هذه المقالة نود أن نشير إلى بعض الإمكانيات المثبتة إذا أردنا إبلاغ الدعوة إلى مجتمع معاصر لا سيما المجتمع الغربي-ونعني به الأوربي والأمريكي- ولعل من أهم هذه الامكانيات وجود العطش أو الفراغ الروحي في ذلك المجتمع.

وإذا حاولنا دراسة هذا الفراغ وجدنا أن له سببين:

الأول: إن هذا المجتمع محروم من دين سماوي حقيقي حيث النصرانية هي الديانة المنتشره في هذا المجتمع ونعرف من أصدق رجل في العالم ومن أصدق كتاب على صفحة الأرض بأن هذه الديانة محرفة مزيفة9 ولا تحتوي أبدا على ما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه عيسى ابن مريم- رضي الله عنهما-حيث تدعو إلى التثليث بدل التوحيد وترى أن نبيهم ليس عبدابل هو جزه غير منفك من عناصر ألوهية، وتدعو أيضا إلى الرهبانية وكفارة المسيح وطبقة خاصة لقسيسين وغيرها من العقائد الباطلة، وأكبر من كل ذلك ليس لديهم الكتاب الذى أنزل الله على عيسى ابن مريم - رضى الله عنهما-بل الأناجيل الموجودة هي ككتب التاريخ والسير ودونت بعد ما رفع الله

المسيح إليه. وإذا هذه هي أوضاع النصرانية فكيف تطمئن قلوب الناس بهذه الديانة، وهل يهوي قلب الصبي إلى غير أمه.

والأمر الذي زاد العطش الروحي في أوربا وأمريكا هو أن الناس إذا لم تمل قلوبهم إلى الديانة المزيفة رجعوا إلى الأفكار الوضعية التي ملأت هذا الفراغ الفكري وجعلوها كالديانة الملزمة في حياتهم اليومية. ولا يكون خاليا من الفائدة إذا أشرنا إلى بعض هذه الأفكار: ! !

☆ منها العلمانية (SECULARISM) التي تعني أن سلطة الله سبحانه وتعالى لا تتجاوز عن الأمور الشخصية للناس. أما الأمور الاجتماعية فلا حق لله تعالى أن يتدخل فيها.

☆ منها المادية (MATERIALISM) أي الحياة هي الدنيا فتستحق أن تكون أكبر هم الرجل، وترجح على الأمور الأخرى كلها (ولآخرة).

☆ ومنها البشرية (HUMANISM) التي تعني أن الإنسان خلق حرا ويحق له أن يفعل ما يشاء، وأنه ليس عبدالله بل إلهه هواه ويصنع ما يريد.

☆ ومنها القومية والديمقراطية: ومعنى القومية هنا أن سبب العصبية هو الوطن والنسل واللون بدل الدين، ومعنى الديمقراطية أن الناس أحرار، والبرلمان الذي يشتمل على نوابهم له الحكم المطلق فيستطيع أن يحلل الحرام ويحرم الحلال بدون شرط أوقيد، فحللت فعلا البرلمانات الغربية شرب الخمر والزنا بالرضا واللواط وغير ذلك من الأمور القبيحة.

☆ منها الرأسمالية المبنية على الربا والتي ترجح المال على الانسان وكسبه.

☆ ومنها الاشتراكية التي تنكر الدين وحرية الفرد وتجعل الناس عبيدا للدولة من أجل لقمة العيش.

☆ ومنها النشوية (DARWINISM) التي ترى أنه لا فرق بين الإنسان والحيوان لأنه تطور من قرد، وأن الانسان لا خالق له إلا الطبيعة.

☆ ومنها الفرويدية (FREUDISM) التي ترى أن غريزة الجنس هي التي تسيطر على جميع أحوال الإنسان ولا يستطيع أن يصلح أحواله لأنه رهن لغريزته الحيوانيه.

والمعروف أن حياه الفرد في الغرب تبنى على هذه الأفكار لهدامة وهي أساس للتعليم والتربية في المدارس والجامعات وأساس الفكر والعمل في الحياة الشخصية والاجتماعية. وكانت نتيجة هذه الأفكار الوضعية الباطلة تدمير الهيكل العام للمجتمع، فاهتزت الحياة العائلية بكثرة الطلاق والزنا واللواط والازدواج والأولاد بدون نكاح. وانتشرت الخمور والمخدرات والجنايات في المجتمع، وأصبحت الدنياولذاتها أكبر هم الرجال والنساء ونسي الناس الشكر والتوبة والقناعة والعمروف بكل أنواعه وانتشرت المنكرات والنواهي. وكانت من نتيجته كثرة الأمراض الذهنية بسبب الضغط والهموم والقلق والخيبة والتوتر، وأصبحت الحياة عبناً وضيقاً، وصدق الله سبحانه وتعالى حين قال: "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا" 12 حيث بدأ الناس في الغرب يقتلون أنفسهم فرادى وجماعات.

وأصبح العطش الروحي فراغا واضحا في المجتمع الغربي حتى أصبح يراه كل من ينظر جليه فتدفق إلى الغرب علماء الهنود (GURU) وحاولوا أن يجذبوا أهله إلى سرية الشرق. وفي مثل هذه الحالات تزداد مسئولية المسلمين، ويحب عليهم إبلاغ دعوة الإسلام إلى تلك المجتمعات بكل قوة، ولو لم يفعلوه قد تعد ذلك جريمة كتمان الحق وقد تؤدي إلى سخط الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الوجه الخارجي للدعوة، أما الوجه الداخلي فحان الوقت أن نتكلم فيه بالاختصار، وهو عبارة عن مسئوليات الداعية وعن استراتيجيته في إبلاغ الدعوة، ونود أن نشير هنا إلى أمور ثلاثة مهمة.

أولها: لا يكفي الحوار والكتابات والجلسات والمناقشات، لأن الناس ينظرون إلى سلوك الخطيب وأخلاق الكاتب، فلا بد من عمل نموذجي على مستوى الفرد

والمجتمع. وهكذا فعل أصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين، واذا هجموا على الشام والفرس لم يسئلهم أحد "ما الإسلام ومن المسلمون؟" لأن كل مسلم كان خلقه معروفا وكان سلوكه معروفا وكان مجتمع المدينة مشرقا ومضيئا مثل الشمس الساطعة منذ أكثر من ألف ميل. أما الآن إذا دعونا رجلا إلى الإسلام وهو يسألنا عن الإسلام فنشير إلى الكتب وإذا سئلنا "أين المجتمع الإسلامي الحي؟" فلا جواب عندنا ! كما قال برنارد شا- الأديب الإنجليزي الشهير في القرن الماضي-: "عندما أقرأ عن الإسلام في الكتب أود أن اسلم وعندما أنظر المسلمين أود أن أبقى مسيحيا"[١٣] فلا بد من عمل نموذ جي على مستوى الفرد والدولة، وهذا يحتاج إلى جهد شاق. فلا بدمن تغيير مناهج التعليم والتربية ودور وسائل الإعلام وتثبيت العقيدة في القلوب والأذهان وتزكية النفوس وتوحيد الشعوب والقيادات السياسية حتى تصبح الأمة بنيا ناً مرصوصاً ومتيناً.

ثانيا: لا بدمن إبلاغ الدعوة على مستوى فكري وعلمي عال باستعمال أحدث الوسائل التكنولوجية الإعلامية حسب قول الله سبحانه وتعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"[١٤] حتى نقنعهم ونثبت لهم علو الإسلام وندعوهم إلى الدين الذي تطمئن به القلوب وترضى به العقول بانه دين إلهي ودين فطري

ثالثها: لعل أهم وأكبر حاجز في فهم الإسلام - فهماً صحيحاً - ونشر الدعوة الإسلامية وتبليغها- تبليغا جيداً - عند أهل الغرب هو دعاية مزيفة ضد الإسلام والمسلمين من الصهاينة وأصدقائهم في الحكومات والمنظمات باستعمال أحدث وسائل الإعلام، وهد فهم إيجاد جو البغض والكراهية ضد الإسلام والمسلمين حتى لا تسمع شعوبهم عن الإسلام شيئا بأذن سامعة وعين باصرة وقلب واعي ويطرحونه بلا تفكير. ولسوء الحظ هم الناجحون في هذه المؤامرة حتى الآن. فلا بد للمسلمين أن يواجهوا هذه الظاهرة الخطيرة ويجاهدوا جهادً كبيراً لفك سلاسل العبودية حتى

يستطيع كل فرد من أهل الغرب أن يدرس الإسلام على استحقاقه ثم "ليهلک من هلک عن بينة ويحيى من حي عن بينة"١٥

وأخيرا نقول بكل ثقة بأنه إذا أدينا واجبنا تجاه الدعوة الإسلامية، حكومةً و شعباً، وطلبنا نصرة الله وولائه بكل إخلاص وجد، فالوقت ليس بعيداً إذاً – كما أنشد إقبال:

شب گريزاں ہو گی آخر جلوۂ خورشید سے
یہ چمن معمور ہوگا نغمۂ توحید سے

أي ان ظلام الليل سوف يولي هاربا أمام إشراق الشمس وسوف يدوي نشيد التوحيد في جو هذه الروضة – وما ذلک على الله بعزيز.

المراجع

١. الزمر ٣٩:٥٣

٢. آل عمران ٣:٢

٣. البقره ٢:٢٥٥

٤. الانعام ٦:٥٩

٥ الفاتحه ١:٣

٦. الانفال ٨:١٠

٧. آل عمران ٣:١٠٤، البقره ٢:١٤٣

٨. آل عمران ٣:١١٠

٩. النساء ٤:١٨١، التوبة ٩:٣٠

١٠. الاستاذ ابو زهره، محاضرات فى النصرانية، خطبعة المدنى، القاهره، ١٩٧٧م

١١. راجع لدراسة الافكار الغربية المعاصرة على سبيل المثال

1. Kurts Paul, Forbidden Fruit: The Ethics of Hunamism (Tr. Philip

Mairet)

2. Summervile John: The secularization of Early Modern Englan, Oxford University Preas, 1992.

3. Sndrew Cheywood: Political Ideas and Concepts: An Introduction, McMillan, Hampshire, 1994.

4. Dobxhansky, Theodosus, Mankind Evolving, Yales University Press,962.

5. F. Copleston, A history of Philosophy, Image Books, New York,1961.

6. Draper, J.K., A History of the Intellectual Development of Europe, London, 1891.

۱۲. طه ۷:۱۲۴

۱۳. خالد کمال مبارکغوری، برناد شاہ عرب درنقوش رسول نمبر، ج ۴ ص. ۵۵ادارہ فروغ اردو لاهور، ۱۹۸۳م

۱۴. النحل ۱۶:۱۲۵

۱۵. الانفال ۸:۴۲

****